فالذي واجهتك منه الأقدار هو الذي له فيك حسن الاختيار **الخامس**
وهو إنما يصبرهم على وجود حكمه عليهم بوجود علمه وذلك أن علم العبد
بأن الحق سبحانه وتعالى مطلع عليه فيما ابتلاه يخفف عنه أعباء البلايا قوله
ألم تسمع قوله تعالى واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا أي بما تلقاه باجحد
من كفار قريش من المعاندة والتكذيب فليس يخفى عنا والحكاية المشهورة
أن إنسانا ضرب تسعة وتسعين سوطا ولم يتأوه فلما ضرب السوط الذي
هو تمام المائة تأوه فقيل له في ذلك فقال كان الذي كنت أضرب من أجله
في الحلقة في التسعة والتسعين فلما ولى أحسست بالضرب **السادس**
وهو إنما صبرهم على أفعاله ظهوره عليهم بوجود جماله وذلك أن الحق
سبحانه وتعالى إذا تجلى على عبده في حين ملاقاته غصص البلايا
حمل مراراتها عنه لما أذاقه من حلاوة التجلي فربما غيبهم ذلك عن الإحساس
بالآلام ويكفيك في نحو ذلك قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن
السابع وهو إنما صبرهم على القضاء علمهم بأن الصبر يورث الرضا
وذلك أن من صبر على أحكام الله عز وجل أورثه ذلك الرضى من الله
فتحملوا مراراتها طلبا في رضاه كما يتحسى الدواء المر لما يرجى من عاقبته
الشفاء فيه **الثامن** وهو إنما صبرهم على الأقدار كشف الحجب
والأستار وذلك أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يحمل عن عبده
ما يورده عليه كشف الحجاب عن بصيرة قلبه فأراه قربه منه فغيبه
أنس القرب عن إدراك المؤلمات ولو أن الحق سبحانه وتعالى تجلى
لأهل النار بجماله وكماله لغيبهم ذلك عن إدراك العذاب كما أنه لو
احتجب عن أهل الجنة لما طاب لهم النعيم فالعذاب إنما هو وجود الحجاب
وأنواع العذاب مظاهره والنعيم إنما هو بالشهود والتجلي وأنواع
النعيم مظاهره **التاسع** وهو إنما قواهم على حمل أثقال التكليف
ورزقهم أسرار التعريف وذلك لأن التكاليف شاقة على العباد ويدخل
في ذلك امتثال الأوامر والانكفاف عن الزواجر والصبر على الأحكام

والشكر

والشكر عند وجود الإنعام فهي إذا أربعة طاعة ومعصية ونعمة
وبلية وهي أربعة لا خامس لها ولله عليك في كل واحدة من هذه
الأربع عبودية يقتضيها منك بحكم الربوبية فحقه عليك في الطاعة
شهود المنة منه عليك وحقه عليك في المعصية الاستغفار مما صنعت
فيها وحقه عليك في البلية الصبر معه عليها وحقه عليك في النعمة
وجود الشكر منك فيها ويخفف عليك حمل أعباء ذلك كله الفهم فإذا
فهمت أن الطاعة راجعة إليك وعائدة بالجدوى عليك صبرك ذلك
على القيام بها وإذا علمت أن الإصرار على المعصية والدخول فيها يوجب
العقوبة من الله تعالى آجلا وانكساف نور الإيمان عاجلا كان ذلك سببا
لتركها وإذا علمت أن الصبر تعود عليك ثمرته وتنعطف عليك بركته
سارعت إليه وعولت عليه وإذا علمت أن الشكر يتضمن المزيد من الله
تعالى لقوله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم كان ذلك سببا لمثابرتك عليه
ونهوضك إليه وسنبسط الكلام على هذه الأربعة في آخر الكتاب
ونفرد لها فصلا إن شاء الله تعالى **العاشر** وهو إنما صبرهم على أقداره
علمهم بما أودع فيها من لطفه وإبراره وذلك أن المكاره أودع الحق سبحانه
وتعالى فيها وجود الألطاف ألم تسمع قوله سبحانه وتعالى وعسى أن
تكرهوا شيئا وهو خير لكم وقوله صلى الله عليه وسلم حفت الجنة
بالمكاره وحفت النار بالشهوات وفي البلايا والأسقام والفاقات
من أسرار الألطاف ما لا يفهمه إلا أولو البصائر ألم تسمع أن البلايا
تخمد النفس وتذلها وتدهشها عن طلب حظوظها ويقع مع
البلايا وجود الذلة ومع الذلة تكون النصرة ألم تسمع قوله تعالى
ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وبسط القول في ذلك يخرجنا عن
قصد الكتاب **انعطاف** ولنرجع الآن إلى الآية وهي قوله
تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الآية اعلم أن الأوقات
ثلاثة قبل الحكم وفيه وبعده فأما قبل الحكم فعبوديتهم التحكيم

Copyright © King Saud University